إيماءات المشركين في إعراضهم وصدهم عن الايمان بالله رب العالمين

دراسة موضوعية

د. عمر عبد الستار روكان طه

كلية الامام الاعظم – قسم أصول الدين

المقدمة

الحمد لله نزَّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً ، ونصلي ونسلم على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد :

أولاً: أهمية الموضوع: إن الصد عن سبيل الله مشكلة واقعية قديماً وحديثاً ، وإن أعداء هذا الدين سواء كانوا كافرين أو منافقين أو أهل كتاب، يتربصون الدوائر بالإسلام والمسلمين، ويترصدون المسلمين الصادقين في كل مكان، ليصدوهم ويفتنوهم عن دين الله، وتمتد هذه القضية امتداد هذا الدين، فبدأ الصراع منذ بدء الخليقة ومع كل الأنبياء، واستمر عبر العصور والأجيال حتى يومنا هذا، وسيبقى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فهذه إذن طبيعة الدعوات وطريق النبوات ، ومن صور هذا الصد هي الايماءات والحركات والاشارات التي يفعلها أعداء الدين .لذلك دفعني ذلك إلى دراسة هذا الموضوع دراسة قرآنية موضوعية ، تمثل لوناً من ألوان التفسير الموضوعي ، فاخترت عنوان بحثي(**إيماءات المشركين في إعراضهم وصدهم عن الايمان بالله رب العالمين**).

ثانياً: أسباب اختيار الموضوع :

١- رغبتي في محاربة اعداء الدين الذين يتربصون بالصفوة الاولى وبالطبقة المختارة .

٢- الوقوف على المعنى الإجمالي لهذه الآيات، مما يُسهم في تحقيق هذه الدراسة، ويبرز أهمية هذا الموضوع الواقعي المعاصر ، خاصة وأن التفسير الموضوعي هو تفسير العصر يعالج قضايا الواقع ومستجدات الأمور والأحداث ، وهذا مما يؤكد صلاحية القرآن لقيادة البشرية في كل العصور ومع كل الأجيال.

ثالثاً: خطة البحث: وتحقيقاً لهذا الهدف فقد جعلنا خطة البحث من مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة، وهي موجزة فيما يلي :-

المقدمة: وفيها أهمية الموضوع وسبب الاختيار وخطة البحث ومنهجي في الكتابة.التمهيد: وفيه بيان لأهم عناصر عنوان البحث.المبحث الاول: ايماءات المشركين بالأيدي . وفيه ثلاثة مطالب: المطلب الاول : إيمائهم بجعل الأنامل في آذانهم واصرارهم على الكفر.المطلب الثاني : إيمائهم بجعل الايدي في الأفواه وعادة الكفار الشك في دعوة الأنبياء. وفيه فرعان: الفرع الاول: إيمائهم بجعل الايدي في الأفواه. الفرع الثاني: وعادة الكفار الشك في دعوة الأنبياء.المطلب الثالث : إيمائهم بعض الانامل وهو عبارة عن الغيظ.المبحث الثاني: ايماءات المشركين من خلال نظرهم وسماعهم للحق وانشغالهم عنه. وفيه مطلبان: المطلب الاول :إيماءاتهم بالنظر. وفيه فرعان: الفرع الاول: عاقبهم الله بعقوبة من جنس عملهم .الفرع الثاني : أضرار الحسد على الداعية (العين). المطلب الثاني: إيماءاتهم بالسمع وهم هازلون يلعبون . . (لاهية قلوبهم). وفيه فرعان:الفرع الاول: الغفلة وصورة الاستهزاء بآيات الله ﷻ.الفرع الثاني : موقف المؤمن عند سماع القران .

المبحث الثالث: ايماءات المشركين من خلال النكص على الأعقاب ولووا الرؤوس والضحك باستهزاء. وفيه أربعة مطالب:المطلب الاول: إيماءاتهم بالنكص على الاعقاب. وفيه فرعان:الفرع الاول : معنى العقب والنكص لغة واصطلاحاً .الفرع الثاني : الاستكبار حجاب عن الحق .المطلب الثاني: إيماءاتهم من خلال وجوههم بالمنكر والسطو.المطلب الثالث: إيماءاتهم من خلال لَوَوْا الرؤوس.المطلب الرابع: إيماءاتهم من خلال الاستهزاء والضحك.

رابعاً: منهجي في الكتابة: وقد كانت طريقتي ومنهجي في كتابة البحث ما يلي:

١- الاعتماد على المراجع القديمة الأصيلة، والحديثة المفيدة .

٢- ترقيم الآيات وذكر سورها في القرآن الكريم .

٣- عزو الأحاديث إلى مصادرها مشيرة إلى الجزء والصفحة والكتاب والباب والرقم إن وجد، وإذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما لم أشر إلى صحته، بل أكتفي بعزوه إليهما فقط؛ لأن العزو إليهما معلم وموعز بالصحة.

٤- إذا كان في غير الصحيحين بينت درجته من الصحة أو الضعف بالنقل عن العلماء المختصين.

٥- عزو ما نقلته إلى مصدره حرفياً أو بتصرف .

٦- وضع تراجم موجزة للأعلام المذكورين في صلب البحث .

٧- بيان بطاقة الكتاب كاملة ان ذكر اول مرة وان تكرر اكتفي بذكر اسم الكتاب فقط .هذا وقد حرصت على إخراج هذا البحث بصورة نافعة جامعة، وواقعية قدر المستطاع، وذلك بالوقوف على معظم كليات الموضوع وجزئياته من جميع جوانبها.كما وانني لا أدعي الكمال، فإنه من صفات الكبير المتعال ، والنقص والتقصير من صفات البشر ، والعمل البشري عرضة للنقص مهما كان كاتبه. وأعلم يقيناً أن مثلي

لا يوفي هذا الموضوع حقه من البحث والدراسة نظراً لسعته وتشعبه، ولكني بذلت ما في وسعي، واجتهدت وحرصت أن أصل به إلى الوجه المطلوب. فإن أصبت فذاك بتوفيق الله وفضله، وهذا أقصى ما أتمنى.وإن كانت الأخرى فمني ومن الشيطان، والله بريء منه ورسوله ، وأستغفر الله من ذنبي كله، وحسبي أني بذلت طاقتي ووضعت لبنة في طريق من يريد إتمام البناء. والله أسأل أن يجعله عملاً صالحاً، ولوجهه خالصاً، ولا يجعل لأحد فيه شيئاً.

تمهيد

التعريف ببعض مفردات البحث

أولاً: الايماءات لغةً واصطلاحا:

الايماءات لغةً: مفرده إيماءة: وهو (اسم) والجمع : إيمَاءاتٌ ومصدره أوماً إيماءً إلى كذا : إشارة إليه ، والإيماء: أن تومئ برأسك أو بيدك، كما يومئ المريض برأسه للركوع والسجود. وقد تقول العرب: أومأ برأسه، أي قال: لا [1].

الايماءات اصطلاحا: وهي حَرَكَةٌ ، أو إشَارَةٌ ، أو لَفْتَةٌ بِوَاسِطَةِ عُضْوٍ مِنْ أعْضَاءِ الجِسْمِ أَوْ مَلاَمِحِ الوَجْهِ[2].

ثانياً: الصد لغةً واصطلاحا: معنى الصد لغة :

١- **معناها عند ابن فارس** : "صد" الصاد والدال معظم بابه يؤول إلى إعراض وعدول ، ويجيء بعد ذلك كلمات تشذ . فالصَّدُّ : الإعراض ، يقال: صَدَّ يصُدُّ ، وهو ميل إلى أحد الجانبين ، ثم تقول صددت فلاناً عن الأمر ، إذا عَدَلْتُه عنه. ومما هو صحيح قولهم : صَدَّ يَصِدُّ ، وذلك إذا ضَجَّ ، وقرأ قوم ﴿ إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾ [3] قالوا يضجون ...[4].

٢- **معناها عند الراغب الأصفهاني** :صدد : الصدود والصد قد يكون انصرافاً عن الشيء ، وامتناعاً نحو ﴿ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُوداً﴾ [5]، وقد يكون صرفاً ومنعاً نحو ﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ ﴾ [6]، ﴿ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [7] ﴿ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [8]، ﴿ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ ﴾ [9] إلى غير ذلك من الآيات[10].

٣- **معناها عند السمين الحلبي** :الصَّدُ : المنع ، قال تعالى : ﴿ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [11]، والصدُّ : الإعراض ومنه قوله تعالى: ﴿ إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾ [12]، وقُرِيء بكسر الصاد أي يضجّون ، يقال : صدَّ يصِدُّ أي ضجَّ ، ويأتي الصدُّ بمعنى الصرف والمنع، نحو قوله : ﴿ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ ﴾ [13]، ويأتي تَصدّى بمعنى تتعرض ، قال تعالى : ﴿فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى﴾ تصدى له : إذا تعرض ... [14].

٤- **معناها عند ابن منظور والفيروزأبادي** : قال ابن منظور: الصَّدُّ : الإعراض والصُّدُود ، قال تعالى : ﴿ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾[15] يقال: صدها عن الإيمان العادة التي كانت عليها لأنها نشأت ولم تعرف إلا قوماً يعبدون الشمس، فصدتها عادتها ﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾ [16]، المعنى صدها كونها من قوم كافرين عن الإيمان والصَّدُ: الهجران، وصَدَّ يَصُدُّ صَدَّاً: ضج وعج..[17].

قال الفيروزأبادي : الصُدود : الإعراض ، قال تعالى : ﴿ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُوداً ﴾ [18]، وصده عن الأمر صداً : بمعنى صرفه ومنعه ، ثم ذكر كلاماً عن بلقيس قريباً مما ذكره ابن منظور أعلاه [19]. ونلاحظ أن المعاني اللغوية السابقة يجمعها الإعراض والعدول عن الحق.

معنى الصد شرعاً :لم نقف على تعريف شرعي فيما اطلعنا عليه من كتب المعاجم والمصطلحات والتعريفات ، ولذا فإننا اجتهدنا في وضع تعريف شرعي للصد عن سبيل الله معتمدين على المعنى اللغوي السابق وذلك فيما يلي : **فالصد** : هو الامتناع والانصراف عن الصراط القويم بنية الإعراض عنه، وعدم قبول الحق؟ ولعلنا بهذا التعريف الشرعي قد جمعنا الغاية للصد عن سبيل الله وهذا التعريف يحقق الصد في الماضي والحاضر ، وفي أي مكان كان، ويتلاءم مع الآيات القرآنية المتضمنة لموضوع الصد عن سبيل الله سواء كانت مكية أو مدنية [20].

المبحث الاول

ايماءات المشركين بالأيدي

المطلب الاول : إيمائهم بجعل الأنامل في آذانهم واصرارهم على الكفر.

﴿ وَإِنِّي كُلَّما دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ، جَعَلُوا أَصابِعَهُمْ فِي آذانِهِمْ، وَاسْتَغْشَوْا ثِيابَهُمْ، وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْباراً﴾[21]. أن الآية الكريمة، قد بينت لنا كيف كانت حركات المشركين وايماءاتهم واشاراتهم من خلال عدم استماعهم للحق بجعل الأصابع – الذي عبرت عنه الآية الكريمة بالأنامل وسيأتي بيان سبب ذلك – في الاذن كي لا يسمعوا قول الحق . فقد صورت الآية عناد قوم نوح، وجحودهم للحق، تصويراً بلغ الغاية في استحبابهم العمى على الهدى.**فهي أولاً:** جاءت بصيغة «كلما» الدالة على شمول كل دعوة وجهها إليهم نبيهم نوح– عليه السلام– أي: في كل وقت

أدعوهم إلى الهدى يكون منهم الإعراض[٢٢].**وهي ثانياً:** عبرت عن عدم استماعهم إليه بقوله: ﴿جَعَلُوا أَصابِعَهُمْ فِي آذانِهِمْ﴾ وعبر عن الأنامل بالأصابع على سبيل المبالغة في إرادة سد المسامع، فكأنهم لو أمكنهم إدخال أصابعهم جميعها في آذانهم لفعلوا. حتى لا يسمعوا شيئاً مما يقوله نبيهم لهم. فإطلاق اسم الأصابع على الأنامل من باب المجاز المرسل[٢٣]، لعلاقة البعضية ، حيث أطلق- ﷺ- الكل وأراد البعض، مبالغة في كراهيتهم لسماع كلمة الحق[٢٤].**وهي ثالثاً:** عبرت عن كراهيتهم لنبيهم ومرشدهم بقوله- تعالى-:﴿ وَاسْتَغْشَوْا ثِيابَهُمْ﴾ أى: بالغوا في التّغطّى بها، حتى لكأنهم قد طلبوا منها أن تلفهم بداخلها حتى لا يتسنى لهم رؤيته إطلاقا. وهذا كناية عن العداوة الشديدة، ومنه قول القائل: لبس لي فلان ثياب العداوة [٢٥].**وهي رابعاً:** قد بينت بأنهم لم يكتفوا بكل ذلك، بل أضافوا إليه الإصرار على الكفر- وهو التشديد فيه، والامتناع من الإقلاع عنه مأخوذ من الصرّة بمعنى الشدة- والإصرار على الذنب يورث الجهل، والجهل يورث التخطي في الباطل، والتخطي في الباطل يورث النفاق، والنفاق يورث الكفر. قيل: وما علامة المنافق؟ قال: يبصر الشيء عند مذاكرته، فإذا قام من عنده كأنه لم يخطر على قلبه، قال الله تعالى: ﴿كُلَّما أَضاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قامُوا ﴾[٢٦] . فقد أفادت هذه الآية، أنهم عصوا نوحا وخالفوه مخالفة ليس هناك ما هو أقبح منها ظاهرا، حيث عطلوا أسماعهم وأبصارهم، وليس هناك ما هو أقبح منها باطنا، حيث أصروا على كفرهم، واستكبروا على اتباع الحق[٢٧].

المطلب الثاني: إيمائهم بجعل الأيدي في الأفواه وعادة الكفار الشك في دعوة الأنبياء.

﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ [٢٨]. وهذا نوع آخر من انواع الايماءات والحركات والاشارات التي تخيل بها هؤلاء الكفار انهم يزعزعون افكار تلك الثلة المرسلة من رب العالمين ناسين ان الذي يمدهم هو الله ﷻ وذلك من خلال ما يأتي:

الفرع الاول: إيمائهم بجعل الايدي في الأفواه . الحالة التي عبر عنها هؤلاء الكفار عن حقدهم وغضبهم وحسدهم تجاه من ارسل اليهم هي جعل الايدي على الافواه حينما سمعوا قول الحق.واختلف العلماء في معنى هذه الآية الكريمة ، فقال بعض العلماء معناها أن أولئك الكفار جعلوا أيدي أنفسهم في أفواههم ; ليعضوا عليها غيظاً وحنقاً لما جاءت به الرسل ; إذ كان فيه تسفيه أحلامهم ، وشتم أصنامهم ، وممن قال بهذا القول عبد الله بن مسعود[٢٩] ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم [٣٠]، واختاره ابن جرير[٣١]، واستدل له بقوله تعالى : ﴿وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ﴾[٣٢]. وفي الآية الكريمة أقوال غير هذا. منها : أنهم لما سمعوا كتاب الله عجبوا ورجعوا بأيديهم إلى أفواههم من العجب . ويروى هذا عن ابن عباس [٣٣]. ومنها : أنهم كانوا إذا قال لهم نبيهم : أنا رسول الله إليكم ، أشاروا بأصابعهم إلى أفواههم أن اسكت تكذيباً له ورداً لقوله [٣٤]. ومنها : أن معنى الآية أنهم ردوا على الرسل قولهم وكذبوهم بأفواههم ، فالضمير الأول للرسل والثاني للكفار ، وعلى هذا القول فـ " في " بمعنى الباء . قال ابن جرير : وتوجيهه أن " في " هنا بمعنى الباء ، قال : وقد سمع من العرب : أدخلك الله بالجنة ، يعنون : في الجنة [٣٥]. قال ابن كثير : ويؤيد هذا القول تفسير ذلك بتمام الكلام ، وهو قوله تعالى : ﴿وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ فكأن هذا [والله أعلم] تفسير لمعنى رد أيديهم في أفواههم.. [٣٦]. قال الامام الشنقيطي: والظاهر عندي خلاف ما استظهره ابن كثير رحمه الله تعالى; لأن العطف بالواو يقتضي مغايرة ما بعده لما قبله ، فيدل على أن المراد بقوله : فردوا أيديهم الآية غير التصريح بالتكذيب بالأفواه ، والعلم عند الله تعالى . وقيل : المعنى أن الكفار جعلوا أيديهم في أفواه الرسل ردا لقولهم ، وعليه فالضمير الأول للكفار والثاني للرسل ، وقيل : جعل الكفار أيدي الرسل على أفواه الرسل ليسكتوهم ويقطعوا كلامهم ، وقيل : رد الرسل أيدي الكفار في أفواههم ، وقيل غير ذلك ، فقد رأيت الأقوال وما يشهد له القرآن منها ، والعلم عند الله تعالى[٣٧].

الفرع الثاني: عادة الكفار الشك في دعوة الأنبياء. من الأمور التي ينبغي الوقوف عندها عندما نتكلم عن قصص الأنبياء، أن الأمم التي أرسل إليها الرسل، كذبت برسلها وألصقت بهم التهم، مع أن الرسل لم يأتوا بأمور مستنكرة، بل جاءوهم بعبادة الله وحده ونبذ الأصنام والأوثان التي لا تضر ولا تنفع، وجاءوهم بصلة الأرحام، وإطعام الطعام، والإحسان إلى الناس... وغير ذلك من صنائع المعروف؛ وهي أمور يستحسنها العقل بداهة، وترغب إليها النفوس، ولكن هو العناد و الاستكبار والتكذيب . ولما كان مصير صفوة خلق الله التكذيب والاتهام والسخرية، لم يخذل الله رسله، فكل أمة كذبت رسولها هلكت ونالها العقاب الأليم ولعذاب الآخرة أشق [٣٨]. قال الله تعالى مسلياً نبيه محمداً ﷺ، عندما كذبه قومه :﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ ﴾[٣٩]. فقوم نوح قالوا له : ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي ءَابَائِنَا الْأَوَّلِينَ۞إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ۞قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ۞ ﴾[٤٠] . فنصره الله

لما كذبوه: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴾ [٤١]. ونصر الله نبيه هود لما كذبوه: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[٤٢]. ونصر الله نبيه شعيب لما كذبوه:﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[٤٣]. وكذا صالح ولوط وغيرهم من الأنبياء–عليهم السلام– [٤٤].

المطلب الثالث : إيمائهم بعضّ الانامل وهو عبارة عن الغيظ.

﴿ها أَنْتُمْ أُولاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتابِ كُلِّهِ وَإِذا لَقُوكُمْ قالُوا آمَنَّا وَإِذا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ﴾[٤٥].لقد سبق ان بيّنت ان الله قد بين نوع من حركات الكفار وهي بجعل الانامل في الاذن كي لا يسمعوا قول الحق وهذا نوع آخر يذكره لنا ربنا ﷻ عن حركاتهم وايماءاتهم تجاه رسل الله ﷺ. وهو ((عضّ الانامل)) غيضاً وحسداً وحقداً يقول الامام ابن عطية في تفسيره: (أي تؤمنون بجميع الكتب وهم لا يؤمنون بقرآنكم، وإنما وقف الله تعالى المؤمنين بهذه الآية على هذه الأحوال الموجبة لبغض المؤمنين لمنافقي اليهود واطراحهم إياهم، فمن تلك الأحوال أنهم لا يحبون المؤمنين وأنهم يكفرون بكتابهم وأنهم ينافقون عليهم ويستخفون بهم ويغتاظون ويتربصون الدوائر عليهم، وقوله تعالى: عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنامِلَ عبارة عن شدة الغيظ مع عدم القدرة على إنفاذه) [٤٦].

لقد نهى الله المؤمنين عن مخالطة المنافقين؛ وذلك لأن المؤمنين كانوا يغترون بظاهر أقوال المنافقين ويظنون أنهم صادقون فيفشون إليهم الأسرار ويطلعونهم على الأحوال الخفية، فالله تعالى منعهم عن ذلك، ويدل على ذلك قوله ﴿ وَإِذا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنامِلَ مِنَ الْغَيْظِ ﴾ وهي صفة المنافقين، ونظيره قوله تعالى في سورة البقرة [٤٧]: ﴿وَإِذا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قالُوا آمَنَّا وَإِذا خَلَوْا إِلى شَياطِينِهِمْ قالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّما نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ﴾ [٤٨]. و{الأَنَامِلَ} يعني أطراف الأصابع وواحد الأنامل أنملة "بضم الميم" ويقال بفتحها ، والضم أشهر، وهي (التي فيها الظفر) من المفصل الأعلى من الإصبع ، والأنملة، بتثليث الميم والهمزة، تسع لغات) ، وزاد بعضهم أنمولة بالواو [٤٩].و{عَضُّوا} والعض عبارة عن شدة الغيظ مع عدم القدرة على إنفاذه ؛ يقال : عض يُعض عضا وعضيضا. وعض الأنامل من فعل المغضب الذي فاته ما لا يقدر عليه ، أو نزل به ما لا يقدر على تغييره. وهذا العض هو بالأسنان كعض اليد على فائت قريب الفوات. وكقرع السن النادمة، إلى غير ذلك من عد الحصى والخط في الأرض للمهموم. ويكتب هذا العض بالضاد الساقطة[٥٠]. لقد مثل الله حال المنافقين وتصرفاتهم مع المؤمنين في هذا الآية ابلغ تمثل ، وبين حال أهل النفاق لما هم عيله من الغيظ الذي وصل بهم الحال ان يعضوا أناملهم بسبب غيضهم فقال الله ﷻ: ﴿ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ ﴾ فهو دعاء عليهم بأن يزداد غيظهم حتى يهلكوا به ، والمراد بزيادة الغيظ زيادة ما يغيظهم من قوة الإسلام وعز أهله ومالهم في ذلك من الذل والخزي ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمُ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ فهو يعلم ما في صدور المنافقين من الحنق والبغضاء وما يكون منهم في حال خلو بعضهم ببعض ، وهو داخل في جملة المقول أي أخبرهم بما يسرونه من عضهم الأنامل غيظاً إذا خلوا وقل لهم : إن الله عليم بما هو أخفى مما تسرونه بينكم وهو مضمرات الصدور ، فلا تظنوا أن شيئاً من أسراركم يخفى عليه أو خارج عن المقول، أي قل لهم ذلك يا محمد ولا تتعجب من اطلاعي إياك على ما يسرون فإني أعلم بما هو أخفى من ذلك وهو ما أضمروه في صدورهم [٥١].

المبحث الثاني

ايماءات المشركين من خلال نظرهم وسماعهم للحق وانشغالهم عنه

المطلب الاول :إيماءاتهم بالنظر.

الفرع الاول: عاقبهم الله بعقوبة من جنس عملهم.

﴿وَإِذا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ هَلْ يَراكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ﴾[٥٢].بعد ان بينت ايماءات الكفار واشاراتهم وحركاتهم بالأيدي والاصابع ذكر ربنا ﷻ نوع آخر في كيفية إيماءتهم وهو النظر باستهزاء وهذا نوع آخر من مخازي المنافقين، وهو أنه كلما نزلت سورة مشتملة على ذكر المنافقين وشرح فضائحهم، وسمعوها تأذوا من سماعها، ونظر بعضهم إلى بعض نظراً مخصوصاً دالاً على الطعن في تلك السورة والاستهزاء بها وتحقير شأنها، ويحتمل أن لا يكون ذلك مختصاً بالسورة المشتملة على فضائح المنافقين بل كانوا يستخفون بالقرآن، فكلما سمعوا سورة استهزؤوا بها وطعنوا فيها، وأخذوا في التغامز والتضاحك على سبيل الطعن والهزء، ثم قال بعضهم لبعض: هل يراكم من أحد؟ أي لو رآكم من أحد؟ [٥٣].**وهذا فيه وجوه:**

الأول: أن ذلك النظر دال على ما في الباطن من الإنكار الشديد والنفرة التامة، فخافوا أن يرى أحد من المسلمين ذلك النظر وتلك الأحوال الدالة على النفاق والكفر، فعند ذلك قالوا: ﴿هَلْ يَرَاكُمْ مِّنْ أَحَدٍ﴾ أي لو رآكم أحد على هذا النظر وهذا الشكل لضركم جدًا؟[٥٤].

والثاني: أنهم كانوا إذا سمعوا تلك السورة تأذوا من سماعها، فأرادوا الخروج من المسجد، فقال بعضهم لبعض﴿هَلْ يَرَاكُمْ مِّنْ أَحَدٍ﴾ قال ابن عباس: كانت إذا أُنزلت سورة فيها عيب المنافقين، وخطبهم رسول الله ﷺ وعرَّض بهم في خطبته، شق ذلك عليهم، ونظر بعضهم إلى بعض يريدون الهرب، يقولون: ﴿هَلْ يَرَاكُمْ مِّنْ أَحَدٍ﴾ من المؤمنين إن قمتم؟ فإن لم يرهم أحد، خرجوا من المسجد [٥٥].

والثالث: ﴿هَلْ يَرَاكُمْ مِّنْ أَحَدٍ﴾يمكنكم أن تقولوا نحبه، فوجب علينا الخروج من المسجد[٥٦].قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿وَإِذا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ﴾ {ما} صلة، والمراد المنافقون؛ أي إذا حضروا الرسولﷺ وهو يتلو قرآنًا أنزل فيه فضيحتهم أو فضيحة أحد منهم جعل ينظر بعضهم إلى بعض نظر الرعب على جهة التقرير؛ يقول: هل يراكم من أحد إذا تكلمتم بهذا فينقله إلى محمد، وذلك جهل منهم بنبوّته عليه السلام، وأن الله يطلعه على ما يشاء من غيبه[٥٧]. أن المنافقين الذين يحذرون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم، إذا نزلت سورة ليؤمنوا بها، ويعملوا بمضمونها ﴿نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ جازمين على ترك العمل بها، ينتظرون الفرصة في الاختفاء عن أعين المؤمنين، ويقولون ﴿هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا﴾ متسللين، وانقلبوا معرضين، فجازاهم الله بعقوبة من جنس عملهم، فكما انصرفوا عن العمل ﴿صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ أي: صدها عن الحق وخذلها . ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ﴾ فقها ينفعهم، فإنهم لو فقهوا، لكانوا إذا نزلت سورة آمنوا بها، وانقادوا لأمرها) [٥٨].فالمنافقون، في كل زمانٍ ومكانٍ متشابهون، يُظهرون خلاف ما يُبطنون، يدَّعون حبهم لدين لإسلام وهُم لشريعته مبغِضون وللانقياد لها رافضون، بل هُم للإسلام وأهله في الليل والنهار يكيدون، وقد نسوا أنَّ الله مُخرجٌ ما يكتمون.ولقد حدَّثنا الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم عن المنافقين، وبيَّن لنا صفاتهم وأحوالهم، ونبأنا الكثير مِن أخبارهم، وفَضَحَ ما يُخفون مِن حقدٍ على المؤمنين، ثم ذَكَر لنا سوء عاقبتهم.قال الله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ﴾ [٥٩]، أي: أيعتقد المنافقون أنَّ الله لا يكشف أمرهم لعباده المؤمنين؟ بل سيوضح أمرهم ويجَلّيه حتى يفهمهم ذوو الأبصار [٦٠]. فالمرض الذي في قلوبهم إنما هو (مِن شُبهة أو شهوة بحيث تُخرِج القلب عن حال صحته واعتداله)[٦١].فيجب على أهل الإيمان الحذر مِن النفاق وأهله، فإننا نرى اليوم انتشار الباطل وعلوه، وأصبحنا نُعاين فتناً وصفها رسول الله ﷺبأنها ((يُصبح الرجل فيها مؤمناً، ويُمسي كافراً، حتى يصير الناس إلى فسطاطين، فسطاط إيمان لا نفاق فيه، وفسطاط نفاق لا إيمان فيه، فإذا كان ذاكم فانتظروا الدجال مِن يومه أو غده)) [٦٢]. فلينظر كلٌ منا أي فسطاط يبغي أنْ يصير إليه. **الفرع الثاني : من أضرار الحسد على الداعية (العين).**(وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴾[٦٣].يقول الامام السيوطي : (كان ابن عباس يقرأ : ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ ﴾ قال: يقول: ينفذونك بأبصارهم من شدة النظر إليك، قال ابن عباس : فكيف يقولون زلق السهم، أو زهق السهم)[٦٤].ويقول الواحدي : (الآية نزلت حين أراد الكفار أن يعينوا رسول الله ﷺ فيصيبوه بالعين، فنظر إليه قوم من قريش، فقالوا: ما رأينا مثله ولا مثل حججه، وكانت العين في بني أسد حتى إن كانت الناقة السمينة والبقرة السمينة، تمر بأحدهم فيعاينها ثم يقول: يا جارية خذي المكتل والدرهم فأتينا بلحم من لحم هذه، فما تبرح حتى تقع بالموت فتنحر)[٦٥].إن الحسد داء عضال, وشر وبيل يضر بصاحبه قبل أن يضر بالآخرين, ولقد نهى الإسلام عن الحسد وحذر منه لما له من خطر على الدين, قال تعالى ذماً لأهل الكفر ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَاتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٦٦].والمسلم يستعيذ بالله من شر الحسد, قال تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾[٦٧].وبين النبي ﷺ أن الناس لا يزال فيهم الخير ما لم ينتشر بينهم الحسد والبغضاء. عَنْ ضَمُرَةَ بن ثَعْلَبَةَ[٦٨]، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ((لا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا لَمْ يَتَحَاسَدُوا))[٦٩]. **والحسد لغةً:** أن تتمنَّى زوال نعمة المحسود إليكَ. يقال: حَسَدَه يَحْسُدُهُ حُسوداً. وبعضهم يقول: يحسِده بالكسر. والمصدر حسداً بالتحريك وحسادة[٧٠].**الحسد اصطلاحا:** هو أن يرى الرجل لأخيه نعمة فيتمنى أن تزول عنه وتكون له دونه [٧١]. الحسد كما هو حقيقة شرعية فهو حقيقة علمية, فإن الله ﷻ ما ذكر شيء إلا وله حكم وحكمة، فالحسد جاء ذكره في القرآن وفي السنة ، وذلك يعنى أنه طبيعة قائمة في نفوس الناس الذين لا يتقون الله فيحسدون الناس ، وهذا من حيث الاعتقاد لا مراء فيه ولا جدال عليه، ولكن تُرى هل له من القطعيات العلمية اليقينية ما تؤكد مصداقية حدوثه وإنه حق.قال ابن القيم: أبطلت طائفة أمر العين، وقالوا: إنما ذلك أوهام ، وهؤلاء من أجهل الناس بالسمع والعقل، ومن أغلظهم حجاباً وأبعدهم عن معرفة الأرواح والنفوس وأفعالها وتأثيراتها، وعقلاء الأمم على اختلاف مللهم ونحلهم لا تدفع أمر العين ولا تنكره، وإن اختلفوا في سببه ووجهة تأثير العين، ثم قال: " وقد دلّ القرآن والسنة على أن نفس حسد الحاسد يؤذي المحسود [٧٢].وقال الجاحظ عن حقيقة الحاسد: هو الكلب الكلِب، والنمر الحرِب، والسم القشِب، والفحل القطِم، والسيل العرم، إن مَلَكَ قتل وسبا، وإن مُلِك عصى وبغى، حياتك موته وثبوره، وموتك عرسه وسروره، يصدق عليك كل شاهد زور، ويكذب فيك كل عدل مرضيّ، لا يحب من الناس إلا من يبغضك، ولا يبغض إلا من يحبك ... ، إنك غير سالم منه

وإن رفعت القذى عن لحيته، وسويت عليه ثوبه فوق منكبه، ولبست ثوب الاستكانة عند رؤيته، واغتفرت له الزلة بعد زلته، واستحسنت كل ما يقبح من شيمه، وصدقته على كذبه، وأعنته على فجرته، فما هذا العناء؟ وما هذا الداء العياء؟ ... ، إنه لا يأتيك ولكنه يناديك، ولا يحاكمك ولكنه يوازنك، أحسن ما تكون عنده حالاً: أقل ما تزيد مالاً، وأكثر ما تكون عيالاً، وأعظم ما تكون ضلالاً. وأفرح ما يكون بك أقرب ما تكون بالمصيبة عهداً وأبعد ما تكون من الناس حمداً، فإذا كان الأمر على هذا فمجاورة الأموات، ومخالطة الزمنى، والاجتنان بالجدران، ومص المصران، وأكل القردان، أهون من معاشرة مثله، والاتصال بحبله [٧٣].**وعلاج الحسد:** يقول ابن القيم: يندفع شر الحاسد عن المحسود بعشرة أسباب:**السبب الأول:** التعوذ بالله من شره والتحصن به، والالتجاء إليه.**السبب الثاني:** تقوى الله، وحفظه عند أمره ونهيه. وقال في حق الصديق يوسف عليه السلام: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾[٧٤]. وقال النبي ﷺ لعبد الله بن عباس . رضي الله عنهما:– ((واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء كتبه الله عليك))[٧٥]. **السبب الثالث:** الصبر على عدوه، وأن لا يقاتله ولا يشكوه، ولا يحدث نفسه بأذاه أصلا.

السبب الرابع: التوكل على الله، فمن يتوكل على الله فهو حسبه.**السبب الخامس:** فراغ القلب من الاشتغال به والفكر فيه.**السبب السادس:** وهو الإقبال على الله، والإخلاص له.**السبب السابع:** تجريد التوبة إلى الله من الذنوب التي سلطت عليه أعداءه.**السبب الثامن:** الصدقة والإحسان ما أمكنه.**السبب التاسع:** هو إطفاء نار الحاسد والباغي والمؤذي بالإحسان إليه.قال ﷻ : ﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[٧٦]. **السبب العاشر:** التوحيد الخالص لله [٧٧]. وعن عبد الله بن حبيب[٧٨]رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : ((قل هو الله أحد والمعوذتين حين تمسى وحين تصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شيء))[٧٩]. وروي عن عثمان رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ : ((ما من عبد، يقول في صباح كل يوم، ومساء كل ليلة: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء، في الأرض ولا في السماء، وهو السميع العليم، ثلاث مرات، لم يضره شيء))[٨٠].

المطلب الثاني: إيماءاتهم بالسمع وهم هازلون يلعبون . . (لاهية قلوبهم).

﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ ۞ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلاَّ اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾[٨١]قد ذكرت في المطلب السابق نوع من انواع الايماءات والاشارات من خلال النضر وكيفية الاستهزاء به . وفي هذه الآية استهزاء آخر لرسل اللهﷻ وانبيائه –عليهم السلام– لكن عن طريق السمع . وكيفية ذلك من خلال :

الفرع الاول: الغفلة وصورة الاستهزاء بآيات الله ﷻ.ان الآية التي نحن بصددها قد ذكرت ان الكفار يستمعون لآيات الله لكن!!! استماعهم لآيات الله عن طريق اللهو واللعب لا عن طريق الاتعاظ والالتزام بأوامر الله تعالى .فالآية فيها مطلع قوي يهز الغافلين هزاً . والحساب يقترب وهم في غفلة . والآيات تعرض وهم معرضون عن الهدى . والموقف جد وهم لا يشعرون بالموقف وخطورته . وكلما جاءهم من القرآن جديد قابلوه باللهو والاستهتار , واستمعوه وهم هازلون يلعبون . . (لاهية قلوبهم). . قال ابن عباس : يستمعون القرآن مستهزئين[٨٢].

وقوله تعالى : " لاهية قلوبهم " ; أي : غافلة عما يراد بهم . قال الزجاج ٨٣: المعنى : إلا استمعوه لاعبين لاهية قلوبهم ، ويجوز أن يكون منصوبا بقوله : " يلعبون " . وقرأ عكرمة[٨٤] ، وسعيد بن جبير[٨٥] ، وابن أبي عبلة[٨٦]: (لاهية) بالرفع [٨٧].يقول سيد قطب: (إنها صورة للنفوس الفارغة التي لا تعرف الجد , فتلهو في أخطر المواقف , وتهزل في مواطن الجد ; وتستهتر في مواقف القداسة . فالذكر الذي يأتيهم يأتيهم (من ربهم)فيستقبلونه لا عبين , بلا وقار ولا تقديس . والنفس التي تفرغ من الجد والاحتفال والقداسة تنتهي إلى حالة من التفاهة والجدب والانحلال ; فلا تصلح للنهوض بعبء , ولا الاضطلاع بواجب , ولا القيام بتكليف . وتغدو الحياة فيها عاطلة هينة رخيصة !)[٨٨].إن روح الاستهتار التي تلهو بالمقدسات روح مريضة . وهؤلاء الذين يصفهم القرآن الكريم كانوا يواجهون ما ينزل من القرآن ليكون دستورا للحياة , ومنهاجا للعمل , وقانونا للتعامل . . باللعب . ويواجهون اقتراب الحساب بالغفلة . يقول الامام القشيري في تفسيره: (الغفلة على قسمين: غافل عن حسابه باستغراقه فى دنياه وهواه، وغافل عن حسابه لاستهلاكه في مولاه فالغفلة الأولى سمة الهجر والغفلة الثانية صفة الوصل فالأولون لا يستفيقون من غفلتهم إلا من سكرة الموت، وهؤلاء لا يرجعون عن غيبتهم أبد الأبد لفنائهم فى وجود الحق تعالى)[٨٩].وأمثال هؤلاء موجودون في كل زمان . فحيثما خلت الروح من الجد والاحتفال والقداسة صارت إلى هذه الصورة المريضة الشائبة التي يرسمها القرآن . والتي تحيل الحياة كلها إلى هزل فارغ , لا هدف له ولا قوام !ذلك بينما كان المؤمنون يتلقون هذه السورة بالاهتمام الذي يذهل القلوب عن الدنيا وما فيها، وهذا هو فرق ما بين القلوب الحية المتلقية المتأثرة , والقلوب الميتة المغلقة الخامدة . التي تكفن ميتتها باللهو ; وتواري خمودها بالاستهتار ; ولا تتأثر بالذكر لأنها خاوية من مقومات الحياة [٩٠].

الفرع الثاني : موقف المؤمن عند سماع القران .عندما نتتبع أثر كلام الله _القرآن _ فيمن سمعه وتدبره من البشر فإننا نجد ان أول من يتأثر بكلامه هم من تلقوه، وكلفهم الله ببلاغة للبشر، وهم الأنبياء والرسل، ولذلك يقول سبحانه بعد ان تحدث عن من الأنبياء والرسل في سورة مريم: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾[٩١].يقول سيد قطب في تفسير الآية النبيون، هم أتقياء، شديدوا الحساسية بالله، ترتعش وجداناهم حين تتلى عليهم آياته، فلا تسعفهم الكلمات للتعبير عما يخالج مشاعرهم من تأثر، فتفيض عيونهم بالدموع، ويخرون سجداً وبكيا. وكان سيدنا محمدﷺ أول المتأثرين بالقرآن الكريم [٩٢].فقد روى مطرف بن عبد الله[٩٣] عن أبيه قال: ((رأيت رسول اللهﷺ يصلي وفي صدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء))[٩٤].وما رواه الأئمة عن عبد الله بن مسعود قال: قال النبيﷺ : (اقرأ عَلَيّ) فقرأت عليه سورة النساء، حتى إذا بلغت ﴿فكيفَ إذا جئنا من كُلِ أُمةٍ بشهيدٍ وجئنا بكَ على هؤلاءِ شهيداً﴾، فنظرت إليه فإذا عيناه تدمعان[٩٥].لقد كان ﷺ يحرص على أن يغرس في اتباعه من المسلمين التأثر بالقرآن عند تلاوته، وامتثل المؤمنون لتوجيه الرسول ﷺ ففتحوا اذانهم وقلوبهم لآيات الله، لتعمل فيها عملها، تؤثر فيها ما شاء الله لها من تأثير، وحال بينهم وبين كل ما من شأنه أن يمنع قلوبهم من التأثر بالقرآن. ولنتتبع بعض آياته التي عبرت عن ذلك وأظهرته:

١_ وجلٌ في القلوب: يقول سبحانه وتعالى: ﴿إنّما المؤمنونَ الَّذينَ إذا ذُكرَ اللهُ وجِلت قُلُوبهُم وإذا تُليت عليهم ءايتهُ زادتهُم إيماناً وعلى ربِهِم يتوكّلون﴾[٩٦].

يقول سيد قطب: إنها الارتعاشة الوجدانية التي تنتاب القلب المؤمن حين يذكر الله في أمر أو نهي (في القرآن)، فيغشاه جلاله، وتنتفض فيه مخافته، ويتمثل عظمة الله ومهابته، إلى جانب تقصيره _هو _ وذنبه، فينبعث إلى العمل والطاعة[٩٧].

٢_ اطمئنان القلوب: قال تعالى: ﴿الَّذينَ ءامَنُوا وتطمئنُّ قلوبُهُم بذكرِ اللهِ ألا بذكرِ اللهِ تطمئنُّ القُلوبُ﴾ [٩٨].

٣_ سجود وخشوع: يقول سبحانه: ﴿إنّما يؤمنُ بآياتنا الَّذينَ إذا ذُكّروا بها خرُّوا سجداً وسبحوا بحمدِ ربّهم وهُم لا يستكبرونَ، تتجافى جُنُوبُهم عن المضاجع يدعونَ ربَّهُم خوفاً وطمعاً وممّا رزقناهُم يُنفقونَ﴾ [٩٩].يقول ابن كثير: (إنّما يؤمنُ بآياتنا) أي إنما يصدق بها (الذين إذا ذُكّروا بها خرُّوا سُجّداً) أي استمعوا لها وأطاعوها، قولا وفعلا (وسبَّحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرونَ) أي عن اتباعها والانقياد لها. ثم قال: (تتجافى جُنُوبهُم عنِ المضاجعِ) يعني بذلك قيام الليل، وترك النوم والاضطجاع على الفرش الوطيئة. (يدعونَ ربَّهُم خوفاً وطمعاً) أي خوفا من وبال عقابه، وطمعاً في جزيل ثوابه. (وممّا رزقناهُم يُنفقونَ) فيجمعون بين فعل القربات اللازمة والمتعدية، ومقدم هؤلاء وسيدهم وفخرهم في الدنيا والآخرة: رسول الله ﷺ [١٠٠].

٤_ قشعريرة الجلود: يقول الله سبحانه وتعالى عن القرآن الكريم: ﴿اللهُ نزَّلَ أحسنَ الحديثِ كتاباً مُّتشابهاً مَّثانيَ تقشعرُّ منهُ جُلودُ الذين يخشونَ ربَّهُم ثُمَّ تَلينُ جُلُودهُم وقلوبهُم إلى ذكرِ الله، ذلك هدى الله يهدي بهِ من يشاءُ ومن يُضللِ اللهُ فمالهُ من هادٍ﴾[١٠١].

يقول الامام الصنعاني: (هذا نعت أولياء الله نعتهم الله بأن تقشعر جلودهم وتبكي أعينهم وتطمئن قلوبهم إلى ذكر الله ولم ينعتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم إنما هذا في أهل البدع)١٠٢.

المبحث الثالث

ايماءات المشركين من خلال النكص على الأعقاب ولووا الرؤوس والضحك باستهزاء.

المطلب الاول: إيماءاتهم بالنكص على الاعقاب.

﴿قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ﴾ [١٠٣]قد بينت في الآيات السابقة عن إيماءات المشركين في كيفية اعراضهم عن آيات الله وهذا نوع آخر سار عليه المشركون والمنافقون للصد والاستهزاء بشرعه. ففي هذه الآية يذكر انهم نكصوا على اعاقبهم استكباراً في الارض وهجراً لآيات الله تعالى. فجاء المطلب على فرعين:

الفرع الاول : معنى العقب والنكص لغة واصطلاحاً .

أولاً: العقب لغة واصطلاحاً: العقب لغة : عَقِب [مفرد]: جمع أعقاب: وفيه ثلاثة اقوال:

١- (الشر)عظمُ مؤخَّر القَدَم، وهو أكبر عِظامها "ضربَ عَقِبَه- احرص على غسل عقبيك في الوضوء- ((وَيْلٌ لِلأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ))[١٠٤]: لتارك غسلهما في الوضوء- ﴿فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾[١٠٥] : ارتدَّ وانثنى راجعاً- ﴿ وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللهُ ﴾[١٠٦] : نكفر ونَضِلّ" جاء على عقِبه: جاء بعده، خلَفه- سار في أعقابهم: تبعهم، اقتفى أثرَهم- عادوا على أعقابهم/ ارتدُّوا على أعقابهم/ انقلبوا

على أعقابهم: تراجعوا، انهزموا، عادوا سريعاً على الطَّرِيق الذي جاءوا منه، ارتدُّوا كفّارًا بعد إيمانهم، رجعوا إلى ما كانوا عليه- نكص على عقبيه: رجع عمَّا كان عليه من خير[١٠٧] .

٢- آخر كل شَيْء وخاتمته وَفِي التَّنْزِيل الْعَزِيز ﴿هُوَ خير ثَوابًا وَخير عقبا﴾ وَيُقَال جِئْت فِي عقب الشَّهْر[١٠٨].

٣- وَلَدُ الوالد الباقي بعده "مات وليس له عقِبٌ- ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[١٠٩] " [١١٠].

العقب اصطلاحاً: تثنية العقب وهو المتأخّر الخلف ، وعقب القدم ، ولكلّ إنسان عقبان من قدميه[١١١].

ثانياً: النكص لغة واصطلاحاً: النكص لغة : نكص عن الأمر ينكص نكصا، بالفتح، ونكوصا، بالضم، ومنكصا، كمطلب، تكأكأ عنه وأحجم . وقيل: نكص عن الأمر، ونكف، بمعنى واحد، أي أحجم. يقال: أراد فلان أمرا ثم نكص، من حد نصر وضرب: رجع [١١٢].

النكص اصطلاحاً: رجع عمَّا كان عليه من خير [١١٣].

الفرع الثاني : الاستكبار حجاب عن الحق .بينت في الفرع السابق ما هو معنى العقب وما هو النكص حتى نبين كيف كان الكفار والمنافقون من خلال ايمائهم بالنكص على اعقابهم انهم كانوا يستكبرون. يقول الامام البلخي في تفسيره: (يعنى تتأخرون عن إيمان به، تكذيبا بالقرآن، ثم نعتهم فقال- سبحانه-: مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ «يعني آمنين بالحرم بأن لهم البيت الحرام» سامِراً بالليل- إضمار في الباطل- وأنتم آمنون فيه، ثم قال: تَهْجُرُونَ القرآن فلا تؤمنون به) [١١٤].ويقول ابن ابي ثعلبة في تفسيره: (قال ابن مجاهد عن أبيه: أي تستأخرون عن الإيمان)[١١٥].ان أسباب الانحراف عن الحق المذكورة في الكتاب الكريم والسنة المطهرة الاستكبار الذي ذم الله عز وجل أهله وتوعدهم بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة ، وبين عقوبة المستكبرين في الدنيا، وهى صرفهم عن الحق وعن فهم آياته الكونية والشرعية التي تقود إلى الإيمان الحق ، بسبب كبريائهم وعتوهم يقول تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾[١١٦]. فسأمنع فهم الحجج والأدلة الدالة على عظمتي وشريعتي، قلوب المتكبرين عن طاعتي، ويتكبرون على الناس بغير حق، أي كما استكبروا بغير حق أذلهم بالجهل [١١٧].

والاسْتِكْبار على وجهين:أحدهما: أن يتحرَّى الإنسان ويطلب أن يكون كبيراً، وذلك متى كان على ما يجب وفي المكان الذي يجب وفي الوقت الذي يجب فهو محمود.**والثاني:** أن يَتَشَبَّع فيُظهِر من نَفْسِه ما ليس له فهذا هو المذموم، وعليه ورد القرآن وهو قوله تعالى: ﴿ أبى واسْتَكْبَر ﴾ [١١٨].قال الزَّجَّاج : ومعنى يتكبَّرون في قوله تعالى:﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾[١١٩]. أنهم يرون أنهم أفضل الخلق، وأنّ لهم مِن الحق ما ليس لغيرهم، وهذه لا تكون إلا لله خاصَّة؛ لأن الله – ﷻ- هو الذي له القُدْرَة والفَضل الذي ليس لأحدٍ مثله، وذلك الذي يستحقُّ أن يُقال له المُتَكبِّر وليس لأحدٍ أن يتَكَبَّر؛ لأنَّ الناس في الحقوق سواءٌ فليس لأحدٍ ما ليس لغيره، وقيل: إنَّ ﴿يتَكَبَّرُونَ﴾ هنا من الكِبَرِ لا من الكِبْرِ؛ أي يتفضَّلون ويرون أنهم أفضل الخلق. والكِبْر والتَّكَبُّر والاسْتِكْبار متقاربةٌ؛ فالكِبْرُ: حالةٌ يتخصّص بها الإنسان من إعجابه بنفسه، وأن يرى نفسَه أكبَر من غيره، وأعظم الكِبْر التَّكَبُّر على الله بالامتناع عن قبول الحقّ[١٢٠].**اما عاقبة الاستكبار:** إن للكبر والاستكبار عواقب وخيمة وآثار مدمرة فمن ذلك :**أولاً:** أنه طريق موصل إلى غضب اللهﷻ وسخطه و يورث البعد عن الله، والبعد عن الناس ويحشر صاحبه يوم القيامة في النار وبسببه يستحق صاحبه العذاب والخلود فيها، قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ [١٢١]... أي: بتكبركم في الدنيا على ربكم ومخالفتكم أمره ونهيه بغير ما أباح لكم وبفسقكم. فبه يكون الهلاك والدمار للأفراد والمجتمعات والشعوب[١٢٢].

ثانياً: ومن آثار الكبر المدمر ظهور الطبقات في المجتمع وتصنيف الناس حسب الأهواء واستعباد الآخرين وظلمهم إذ الاستكبارُ صَدٌّ عن سبيل الله قبل كل شيء، صد يستند إلى البطش الذي يسلحه المال المنهوب والسلطان المستبَد والاستعلاء الممقوت والإدعاء الباطل.. يقول الامام الماوردي في تفسيره: ﴿ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ تستعلون على أهلها بغير استحقاق[١٢٣]. ويقول الامام السمعاني: ﴿ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ (أي: تطلبون العلو والرفعة)[١٢٤].ويقول الامام القرطبي: ﴿ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ (أي تستعلون على أهلها بغير استحقاق)[١٢٥]. (فجعل السبب في عذابهم أمرين التكبر عن اتباع الحق والعمل بمعاصي الله سبحانه وتعالى وهذا شأن الكفرة فإنهم قد جمعوا بينهما) [١٢٦].

المطلب الثاني: إيماءاتهم من خلال وجوههم بالمنكر والسطو.

﴿وَإِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُنا بَيِّناتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آياتِنا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [١٢٧]بينت في المطلب السابق كيف كان الكفار من خلال حركة النكص بالأعقاب انهم يستكبرون وفي

هذه الآية نوع جديد من اشاراتهم وحركاتهم وايماءاتهم على الوجه حيث يظهر المنكر على تلك الوجوه والسطو والبطش الذي لا يرضى به الامن كان على شاكلتهم وهو الذي ما يبين مدى حقدهم وكراهيتهم لدين الله ﷻ .لذلك يكاد يجمع اللغويون على تعريف (المنكر) بأنه كل فعل تحكم العقول الصحيحة بقبحه، أو تتوقف في استقباحه واستحسانه العقول فتحكم بقبحه الشريعة..[١٢٨] .كما أنهم يقفون أمام الفعل (نكر)، (أنكر)، فيعرفونه بمعنى التغير، وذلك في قوله تعالى:﴿ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا﴾ [١٢٩]، أي غيروه إلى شكل تنكره ولا تعرفه [١٣٠]، حيث إن تنكير الشيء من حيث المعنى جعله لا يعرف.. وتعريفه جعله بحيث يعرف [١٣١].وقد وقف هذا الفريق من اللغويين عند هذا الحد من معنى التغير في لفظ المنكر واقتصروا على المعنى الشرعي، ومعنى التغير الحادث في قصة عرش بلقيس ملكة سبأ. أما ابن منظور، فله شأن آخر فيه تعريف المنكر، نضع في أيدينا على (البعد الإيمائي) للكلمة وهو ما يهمنا المطلب، ومراحل تعريفه هي:

أ- النكر: التغير، زاد في التهذيب من حال تسرك إلى حال تكرهها منه.

ب- النكير: اسم الإنكار الذي معناه التغيير، وفي التنزيل: ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [١٣٢]، أي إنكاري.. [١٣٣]. فيمكن - والحالة هذه - أن يكون المصطلح الايمائي المناسب لهذا المعنى لكلمة (المنكر) أي بمعنى التغير في (الوجه) من حال حسنة إلى حال سيئة بدليل الفعل (تعرف) الابصاري في الآية الكريمة، وهذا التغير علامته تلون الوجه وامتقاعه بلون أصفر - مثلاً - يدل على بهت ودهشة حادثتين، بل وأنشداه في صاحبه، أو أن العلامة تظهر في الامتعاض والتكشير.. الخ. هذا بالإضافة إلى العلامات الحركية كما في قوله تعالى: ﴿ أَلا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُ أَلا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [١٣٤]. والإنكار الحادث في وجوه الكفرة هو نتيجة عدم التأثر والتأثير المحمودين للذكر، فهم لا يخشون الله إنما هم أشقى خلقه، قال تعالى :﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى ۞ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَى ۞ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ۞ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى﴾ [١٣٥] . فالنار التي في السورة هي التي أمر الله ﷻ نبيه ﷺ بإخبار الكفار عنها في قوله : ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكُمُ النَّارُ﴾ [١٣٦]. واذا تأملنا أفعال النهي والإعراض هي صفات أشقى خلق الله، وقد أمر سبحانه بالإعراض عنهم قائلاً: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّى عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [١٣٧], بل أمر تعالى بعدم طاعتهم : ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [١٣٨]. أما أسباب ذلك فكثيرة، منها: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا﴾ [١٣٩]، والشقاء قرين التخبط، ولو كان في المرتع الممرع .. ثم الشقوة الكبرى في دار البقاء [١٤٠]. اما بالنسبة للسطو الذي لا يمكن الإقرار به من قبل أي إنسان حتى ولو لم يكن يدين بالإسلام [١٤١]. فيتفق اللغويون على تعريف السطو بأنه الوثب والصولة والقهر بالبطش، والسطوة لمرة واحدة، والجمع: سطوات، وسطا عليه وبه سطواً وسطوة: صال.. أما قوله تعالى ﴿يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ ، فقيل: معناه يبسطون أيديهم إلينا، وقيل : يعني أهل مكة كانوا إذا سمعوا الرجل من المسلمين يتلو القرآن كادوا يبطشون به... [١٤٢]. ولا يختلف الحافظ ابن كثير عن اللغويين فيما ذهبوا إليه في تفسير معنى (المنكر) و(السطو) فهو يقول في تفسير آية الحج موضوع البحث: أي إذا ذكرت لهم آيات القرآن والحجج والدلائل الواضحات في توحيد الله وأنه لا إله إلا هو وأن رسله الكرام حق وصدق ﴿يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ أي يكادون يبادرون الذين يحتجون عليهم بالدلائل الصحيحة من القرآن ويبسطون إليهم أيديهم وألسنتهم بالسوء [١٤٣]. فالكفار لا يناهضون الحجة بالحجة، ولا يقرعون الدليل بالدليل إنما هم يلجأون إلى العنف والبطش عند ما تعوزهم الحجة ويخذلهم الدليل. وذلك شأن الطغاة دائما يشتجر في نفوسهم العتو، وتهيج فيهم روح البطش، ولا يستمعون إلى كلمة الحق لأنهم يدركون أن ليس لهم ما يدفعون به هذه الكلمة إلا العنف الغليظ! ومن ثم يواجههم القرآن الكريم بالتهديد والوعيد: ﴿قُلْ: أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذلِكُمُ ﴾ بشر من ذلكم المنكر الذي تنطوون عليه، ومن ذلك البطش الذي تهمون به.. ﴿النَّارُ﴾ .. وهي الرد المناسب للبطش والمنكر ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ .. [١٤٤].

المطلب الثالث: إيماءاتهم من خلال لَوَّوْا الرؤوس.

﴿وَإِذا قِيلَ لَهُمْ تَعالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُؤُسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ [١٤٥] ومن الواضح ان هذه الآية تأتي لتكمّل توضيح إيماءات المنافقين وحركاتهم وإشاراتهم التي بدأتها الآيات التي سبقتها، بقول تعالى: ﴿وَإِذا قِيلَ لَهُمْ تَعالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُؤُسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾[١٤٦]. لقد وصل بهم الكبر والغرور مبلغاً حرمهم من استثمار الفرص والاستغفار والتوبة والعودة إلى طريق الحقّ والصواب. وكان «عبدالله بن أُبي»[١٤٧] هو النموذج البارز لهذا التكبّر والطغيان، وقد تجسّد ذلك في جوابه على من طلب منه الذهاب إلى رسول الله للاستغفار، فأبى فقيل له قد نزلت فيك آيات شديدة فاذهب إلى رسول الله ﷺ ليستغفر لك ؛ فألوى برأسه ، فنزلت الآيات[١٤٨].

إنّ حبّ المنافقين لأنفسهم وعبادتهم لذواتهم، جعلتهم أبعد ما يكونون عن الإسلام الذي يعني التسليم والرضا والاستسلام الكامل للحقّ. «لووا» من مادّة (لي) وهي في الأصل بمعنى برم الحبل، وتأتي أيضاً بمعنى إمالة الرأس وهزّه إعراضاً واستكباراً[١٤٩] . «يصدّون» لها معاني

كما أوضحنا ذلك سابقاً، منها: (المنع) و(الإعراض) وهذا المعنى أكثر انسجاما مع الآية . مورد البحث . ومن أجل أن لا يبقى هناك أي إبهام أو التباس قال تعالى: ﴿سَواءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفاسِقِينَ ﴾[١٥٠]. بعبارة أُخرى: إنّ استغفار النبي ليس علّة تامّة للمغفرة، بل هي مقتض تؤثّر حينما تكون الأرضية مهيّأة، أي عندما يتوبون بصدق وإخلاص ويتّخذون طريقاً آخر، ويهجرون الكذب والغرور، ويستسلمون للحقّ، هنالك يؤثّر استغفار الرّسول وتقبل شفاعته، اما الآية أراد به إثبات اليأس عن طمع المغفرة لهم.[١٥١]. يقول الامام الزمخشري – مبيناً حال المنافقين في كيفية الاعراض والصد عن سبيل الله – (لَوَّوْاْ رُؤُوسَهُمْ عطفوها وأمالوها إعراضاً عن ذلك واستكباراً . وقرىء بالتخفيف والتشديد للتكثير) [١٥٢]. **ويقول سيد قطب:** في ذكر تصرف هؤلاء المنافقين وكيفية حال إيمائهم مع عظيم الدعاة وسيد العلماء محمدﷺ : (يفعلون الفعلة، ويطلقون القولة. فإذا عرفوا أنها بلغت رسول الله– ﷺ– جبنوا وتخاذلوا وراحوا يقسمون بالأيمان يتخذونها جنة. فإذا قال لهم قائل: تعالوا يستغفر لكم رسول الله، وهم في أمن من مواجهته، لووا رؤوسهم ترفعاً واستكباراً! وهذه وتلك سمتان متلازمتان في النفس المنافقة. وإن كان هذا التصرف يجيء عادة ممن لهم مركز في قومهم ومقام. ولكنهم هم في ذوات أنفسهم أضعف من المواجهة فهم يستكبرون ويصدون ويلوون رؤوسهم ما داموا في أمان من المواجهة. حتى إذا ووجهوا كان الجبن والتخاذل والأيمان!)[١٥٣]. وقد يبدو من العجب أن يجتمع الكبر، والجبن، في كيان المنافقين.. ولكن مع قليل من النظر، يتضح أن هذا هو التركيب الطبيعي للمنافق، الذي لا يكون محققا لصفة النفاق حتى يجمع بين المتضادات.. الإيمان، والكفر.. الصدق باللسان، والكذب بالقلب.. الظاهر الحسن، والباطن الخبيث.. وهكذا.. فالمنافق شخصان، يعيش أحدهما مع الناس، ويعيش الآخر في كيان صاحبه.. فهو شخصية مزدوجة، يكاد ينفصل ظاهرها عن باطنها.. [١٥٤] .

المطلب الرابع: إيماءاتهم من خلال الاستهزاء والضحك.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ۞ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ۞ وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ ۞ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ۞ ﴾ [١٥٥]وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبادِي يَقُولُونَ رَبَّنا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنا وَارْحَمْنا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ۞ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ۞ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِما صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفائِزُونَ﴾ [١٥٦]يخبر تعالى عن حال المجرمين وكيف كان إيمائهم مع المؤمنين حيث وصفهم بأنهم كانوا في الدار الدنيا يضحكون من المؤمنين أي يستهزئون بهم ويحتقرونهم وإذا مروا بالمؤمنين يتغامزون عليهم أي : محتقرين لهم ﴿وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾ أي إذا انقلب ، أي رجع هؤلاء المجرمون إلى منازلهم انقلبوا إليها فاكهين ، أي مهما طلبوا وجدوا ومع هذا ما شكروا نعمة الله عليهم بل اشتغلوا بالقوم المؤمنين يحتقرونهم ويحسدونهم ﴿ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ﴾ أي لكونهم على غير دينهم، قال الله تعالى: ﴿ وَما أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حافِظِينَ ﴾[١٥٧] أي وما بعث هؤلاء المجرمون حافظين على هؤلاء المؤمنين ما يصدر من أعمالهم وأقوالهم وَلَا كُلِّفُوا بِهِمْ؟ فَلِمَ اشْتَغَلُوا بِهِمْ وَجَعَلُوهُمْ نُصْبَ أَعْيُنِهِمْ، كما قال تعالى ﴿ قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ۞ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ۞ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ (١١٠) إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ۞ ﴾ [١٥٨]. ولهذا قال هاهنا : ﴿فَالْيَوْمَ ﴾ يعني يوم القيامة ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾[١٥٩] أي في مقابلة ما ضحك بهم أولئك ﴿ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾ [١٦٠] أي إلى الله عز وجل في مقابلة من زعم فيهم أنهم ضالون ليسوا بضالين بل هم من أولياء الله المقربين ينظرون إلى ربهم في دار كرامته وقوله ﴿ هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[١٦١]؟ أي هل جوزي الكفار على ما كانوا يقابلون به المؤمنين من الاستهزاء والتنقص أم لا يعني قد جوزوا أوفر الجزاء وأتمه وأكمله [١٦٢].يقول الامام القرطبي: إن الذين أجرموا وصف أرواح الكفار في الدنيا مع المؤمنين باستهزائهم بهم والمراد رؤساء قريش من أهل الشرك .وإذا مروا بهم عند إتيانهم رسول الله – ﷺ– يتغامزون يغمز بعضهم بعضاً، ويشيرون بأعينهم . وقيل : أي يعيرونهم بالإسلام ويعيبونهم به يقال : غمزت الشيء بيدي . وإذا انقلبوا أي انصرفوا إلى أهلهم وأصحابهم وذويهم انقلبوا فكهين أي معجبين منهم . وقيل : معجبون بما هم عليه من الكفر ، متفكهون بذكر المؤمنين [١٦٣].اما قوله تعالى: ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا﴾ فقد قُرِأَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ : "سُخْرِيًّا" بِضَمِّ السِّينِ هَاهُنَا وَفِي سُورَةِ ص، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِكَسْرِهِمَا، وَاتَّفَقُوا عَلَى الضَّمِّ فِي سُورَةِ الزُّخْرُفِ[١٦٤]. قيل: هُمَا لُغَتَانِ مِثْلَ قَوْلِهِمْ: بَحْرٌ لُجِّيٌّ، وَلِجِّيٌّ بِضَمِّ اللَّامِ وَكَسْرِهَا، مِثْلَ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ وَدِرِّيٍّ، فَالْكَسْرُ بِمَعْنَى الِاسْتِهْزَاءِ بِالْقَوْلِ، وَالضَّمُّ بِمَعْنَى التَّسْخِيرِ وَالِاسْتِعْبَادِ بِالْفِعْلِ، وَاتَّفَقُوا فِي سُورَةِ الزُّخْرُفِ بِأَنَّهُ بِمَعْنَى التَّسْخِيرِ، ﴿حَتَّى أَنْسَوْكُمْ﴾ أَيْ: أَنْسَاكُمُ اشْتِغَالُكُمْ بِالِاسْتِهْزَاءِ بِهِمْ وَتَسْخِيرِهِمْ [١٦٥].

الخاتمة

بعد الغوص والبحث في آيات الكتاب العزيز؛ لمعرفة ما هي الإيماءات والحركات والاشارات التي كان الكفار والمنافقون يتصرفون بها مع رسلهم وانبيائهم من حيث جعل الانامل في أفواههم او لووا الرؤوس وهكذا توصل الباحث الى النتائج التالية:

- ❖ يخبر تعالى عن حال المجرمين وكيف كان إيمائهم مع المؤمنين حيث وصفهم بأنهم كانوا في الدار الدنيا يضحكون من المؤمنين أي يستهزئون بهم ويحتقرونهم وإذا مروا بالمؤمنين يتغامزون عليهم .
- ❖ المنافقون، في كل زمانٍ ومكانٍ متشابهون، يُظهرون خلاف ما يُبطنون، يدَّعون حبهم لدين لإسلام وهُم لشريعته مبغِضون وللانقياد لها رافضون، بل هُم للإسلام وأهله في الليل والنهار يكيدون، وقد نسوا أنَّ الله مُخرجٌ ما يكتمون.
- ❖ المنافق شخصان، يعيش أحدهما مع الناس، ويعيش الآخر في كيان صاحبه.. فهو شخصية مزدوجة، يكاد ينفصل ظاهرها عن باطنها.
- ❖ الكفار لا يناهضون الحجة بالحجة، ولا يقرعون الدليل بالدليل إنما هم يلجأون إلى العنف والبطش عند ما تعوزهم الحجة ويخذلهم الدليل. وذلك شأن الطغاة دائما يشتجر في نفوسهم العتو، وتهيج فيهم روح البطش، ولا يستمعون إلى كلمة الحق.
- ❖ إن الحسد داء عضال, وشر وبيل يضر بصاحبه قبل أن يضر بالآخرين, ولقد نهى الإسلام عن الحسد وحذر منه لما له من خطر على الدين، كما ان الحسد هه أن تتمنَّى زوال نعمة المحسود إليكَ ، ومن علاجه التعوذ بالله من شره والتحصن به، والالتجاء إليه. والصبر على عدوه، وأن لا يقاتله ولا يشكوه، ولا يحدث نفسه بأذاه أصلا.
- ❖ ان المؤمن حريص على سماع القران الكريم كما هم أتقياء، شديدوا الحساسية بالله، ترتعش وجداناهم حين تتلى عليهم آياته، فلا تسعفهم الكلمات للتعبير عما يخالج مشاعرهم من تأثر، فتفيض عيونهم بالدموع، ويخرون سجداً وبكيا.

الهوامش

[١] ينظر: (تهذيب اللغة)، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، (٢٠٠١م)، (٤٦٢/١٥). و(كتاب العين)، المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال (٤٣٢/٨).

[٢] ينظر: (معجم اللغة العربية المعاصرة)، المؤلف: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، (١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م)، (٢٤٩٨/٣).

[٣] سورة الزخرف آية : ٥٧ .

[٤] ينظر: (معجم مقاييس اللغة) – لأحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق عبد السلام محمد هارون دار الجيل – بيروت – الطبعة الأولى – (١٤١١هـ-١٩٩١م)، (٣ / ٢٨٢) .

[٥] سورة النساء آية : ٦١ .

[٦] سورة النمل آية : ٣٤ ، وسورة العنكبوت آية : ٣٨ .

[٧] سورة الأنفال آية : ٤٧ .

[٨] سورة البقرة آية : ٢١٧ .

[٩] سورة القصص آية: ٨٧ .

[١٠] ينظر: (المفردات في غريب القرآن) ، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ، تحقيق محمد سيد كيلاني – دار المعرفة للطباعة والنشر – بيروت، (٢٧٥) .

[١١] سورة الأنفال آية : ٤٧ .

[١٢] سورة الزخرف آية : ٥٧ .

[١٣] سورة النمل آية : ٢٤ .

[١٤] ينظر: (عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ)"معجم لغوي لألفاظ القرآن الكريم" – للشيخ أحمد ابن يوسف المعروف بالسمين الحلبي حققه وعلق عليه الدكتور محمد التونجي – عالم الكتب – بيروت – الطبعة الأولى – (١٤١٤هـ-١٩٩٣م)، (٣٧٢/٢-٣٧٣) .

[١٥] سورة النمل آية : ٤٣ .

[١٦] سورة النمل آية : ٤٣ ."تكملة للآية السابقة" .

[١٧] ينظر: (لسان العرب)، المؤلف : ابن منظور، المحقق : عبد الله علي الكبير + محمد أحمد حسب الله + هاشم محمد الشاذلي، دار النشر: دار المعارف، البلد : القاهرة، (٢٤٠٩/٤).

[١٨] سورة النساء آية : ٦١ .

[١٩] ينظر: (بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز)، محمد بن يعقوب الفيروزأبادي ، تحقيق الأستاذ محمد علي النجار – المكتبة العلمية – بيروت (٣ /٣٩٠).

[٢٠] ينظر: (الصد عن سبيل الله في ضوء القرآن الكريم) "دراسة موضوعية"، د. عبد السلام حمدان اللوح ود. زكريا ابراهيم الزاملي ، الجامعة الاسلامية– غزة ، (٥– ٦).

[٢١] سورة نوح آية : ٧ .

[٢٢] ينظر: (التحرير والتنوير)«تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» المؤلف : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: (١٩٨٤هـ)، (١٢٥/٢٩).

[٢٣] المجاز المرسل : هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة غير المشابهة ، ويجب أن تكون هناك قرينة تمنع المعنى الأصلي للفظ . أو هو كلمة لها معنى أصلي لكنها تستعمل في معنى آخر على أن يوجد علاقة بين المعنيين دون أن تكون علاقة مشابهة ، وتعرف تلك العلاقة من المعنى الجديد المستخدمة فيه الكلمة.

مثال لذلك : " قبضنا على عين من عيون الأعداء" فلفظ عين هنا ليس المقصود منها العين الحقيقية وإنما المقصود منها الجاسوس ، و القرينة التي تمنع المعنى الأصلي للفظ هنا أنه لا يمكن القبض على العين فقط دون بقية جسد الجاسوس!. ينظر: (الأصول من علم الأصول)، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، (٢١/١).

[٢٤] ينظر: (التفسير الوسيط للقرآن الكريم)، المؤلف: محمد سيد طنطاوي، الناشر:– القاهرة، الطبعة: الأولى (١١٥/١٥).

[٢٥] ينظر: (الجامع لأحكام القرآن)، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١ هـ)، المحقق: هشام سمير البخاري، الناشر: دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية٢٠٠٣ م(٣٠٠/١٨).

[٢٦] سورة البقرة آية: ٢٠.

[٢٧] ينظر: (تفسير التستري)، المؤلف: أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُستري (المتوفى: ٢٨٣هـ)، جمعها: أبو بكر محمد البلدي، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: منشورات محمد علي بيضون / دار الكتب العلمية (١٤٢٣هـ)، (١٧٨/١).

[٢٨] سورة ابراهيم آية : ٩ .

[٢٩] وهو: عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمخ بن فار بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار . الإمام الحبر ، فقيه الأمة ، أبو عبد الرحمن الهذلي المكي المهاجري البدري ، حليف بني زهرة. كان من السابقين الأولين ، ومن النجباء العالمين ، شهد بدرا ، وهاجر الهجرتين ، وكان يوم اليرموك على النفل ، ومناقبه غزيرة. ينظر: (سير أعلام النبلاء)، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (القاهرة، الطبعة: (٢٨٠/٣).

[٣٠] وهو: عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم العمري المدني ، أخو أسامة ، وعبد الله ، وفيهم لين . وكان عبد الرحمن صاحب قرآن وتفسير جمع تفسيرا في مجلد ، وكتابا في الناسخ والمنسوخ . وحدث عن أبيه ، وابن المنكدر . روى عنه أصبغ بن الفرج ، وقتيبة ، وهشام بن عمار ، وآخرون . توفي سنة اثنتين وثمانين ومائة . ينظر: (سير أعلام النبلاء) (٣٤٤/٧).

[٣١] ينظر: (جامع البيان في تأويل القرآن)، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، (١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م)، (٥٣٣/١٦).

[٣٢] سورة آل عمران آية : ١١٩.

[٣٣] ينظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) (٥٣٣/١٦). وابن عباس هو: حبر الأمة ، وفقيه العصر ، وإمام التفسير أبو العباس عبد الله، ابن عم رسول الله – ﷺ– العباس بن عبد المطلب شيبة بن هاشم ، واسمه عمرو بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن

غالب بن فهر القرشي الهاشمي المكي الأمير – ﷺ. مولده بشعب بني هاشم قبل عام الهجرة بثلاث سنين . ينظر: (الاستيعاب في معرفة الأصحاب)، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، (١٤١٢هـ – ١٩٩٢م)، (٩٣٣/٣).

[٣٤] ينظر: (تفسير الماوردي = النكت والعيون)، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان(١٢٤/٣).

[٣٥] ينظر: (جامع البيان في تأويل القرآن)، (٥٣٤/١٦).

[٣٦] ينظر: (تفسير القرآن العظيم)، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ), المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية (١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م)، (٤٨١/٤).

[٣٧] ينظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) ، المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر : دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، سنة النشر : (١٤١٥هـ – ١٩٩٥م)، (٢٤٣/٢).

[٣٨] ينظر: (الفوائد والعبر من قصص الانبياء)، تأليف فؤاد عبد العزيز الشلهوب، الناشر: صيد الفوائد وملتقى أهل الحديث (٦-٧).

[٣٩] سورة الأنعام آية: ٣٤.

[٤٠] سورة المؤمنون الآيات : ٢٤-٢٦.

[٤١] سورة الأعراف آية : ٦٤.

[٤٢] سورة الشعراء آية : ١٣٩.

[٤٣] سورة الحجر آية: ٨٠ ، وينظر سورة الشعراء الآيات (١٧٦،١٦٠،١٤١،١٢٣،١٠٥).

[٤٤] ينظر: (الفوائد والعبر من قصص الانبياء)، (٧).

[٤٥] سورة آل عمران آية : ١١٩.

[٤٦] (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)، المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – (١٤٢٢هـ)، (٤٩٧/١).

[٤٧] سورة البقرة آية: ١٤.

[٤٨] ينظر: (مفاتيح الغيب = التفسير الكبير)، المؤلف: أبو عبد الله الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت : ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة (١٤٢٠هـ)، (٣٣٩/٨).

[٤٩] ينظر: (تاج العروس من جواهر القاموس)، المؤلف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، (٤١/٣١).

[٥٠] ينظر: (الجامع لأحكام القرآن)، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١ هـ) ، المحقق: هشام سمير البخاري، الناشر: / ٢٠٠٣م)، (١٨٢/٤).

[٥١] ينظر: (تفسير النسفى)، المؤلف: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، (١٧٦/١).

[٥٢] سورة التوبة آية : ١٢٧.

[٥٣] ينظر: (مفاتيح الغيب = التفسير الكبير)، (١٧٦/١٦).

[٥٤] ينظر: المصدر السابق، (١٧٦/١٦).

[٥٥] ينظر: (زاد المسير في علم التفسير)، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى (١٤٢٢هـ)، (٣١٢/٢).

[٥٦] ينظر: (مفاتيح الغيب = التفسير الكبير)، (١٧٦/١٦).

[٥٧] ينظر: (الجامع لأحكام القرآن), (٢٩٨/٨).

[٥٨] (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى (١٤٢٠هـ –٢٠٠٠م)، (٣٥٦/١).

[٥٩] سورة محمد الآية: ٢٩.

[٦٠] (مختصر تفسير ابن كثير)، المؤلف: (اختصار وتحقيق) محمد علي الصابوني، السابعة، (١٤٠٢هـ - ١٩٨١م)، (٣٣٦/٢).

[٦١] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان(٧٨٩/١).

[٦٢] أخرجه الحاكم في مستدركه كتاب الفتن والملاحم برقم(٨٤٤١)، (٥١٣/٤). وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه».

[٦٣] سورة القلم آية : ٥١.

[٦٤] (الدر المنثور)، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: دار الفكر - بيروت، (٢٦٢/٨).

[٦٥] (أسباب نزول القرآن)، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، الناشر: دار الإصلاح - الدمام، الطبعة: الثانية، (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م)، (٤٤٣/١).

[٦٦] سورة البقرة آية : ١٠٩.

[٦٧] سورة الفلق آية (٥).

[٦٨] وهو: ضمرة بن ثعلبة البهزي. وبهز قبيلة بمن بني سليم بن منصور، سكن حمص. ينظر: (أسد الغابة في معرفة الصحابة)، المؤلف: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ)، المحقق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، سنة النشر: (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م)، (٥٩/٣).

[٦٩] أخرجه الطبراني في معجمه الكبير ، برقم(٨١٥٧)، (٣٦٩/٨). قال الهيثمي: (رجاله ثقات). ينظر: (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد)، للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧) بتحرير الحافظين الجليلين: العراقي وابن حجر، دار الفكر، بيروت، (١٤١٢هـ -١٩٩٢م)، (٣٩٤/٧).

[٧٠] ينظر: (الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية)، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م)، (٤٦٥/٢).

[٧١] ينظر: (النهاية في غريب الحديث والأثر) ، المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م)، (١/ ٣٨٣).

[٧٢] ينظر: (الطب النبوي)، ابن القيم، تحقيق : عبد الغني عبد الخالق، دار الفكر- بيروت، (١٢٩/١).

[٧٣] ينظر: (الرسائل الأدبيّة) ، رسائل الجاحظ، أبي عثمان عمرو بن بحر الملقّب بالجاحظ المتوفى (سنة ٢٥٥هـ-/ ٨٦٨ م)، قدّم لها وبوّبها وشرحها الدّكتور علي أبو ملحم، دار ومكتبة الهلال بيروت- صرب، (٢٦-٢٩).

[٧٤] سورة يوسف آية (٢٤).

[٧٥] أخرجه أحمد في مسنده، برقم(٢٦٦٩)، (٢٩٣/١). وقال شعيب: إسناده قوي.

[٧٦] سورة فصلت الآيات (٣٦).

[٧٧] ينظر: (تفسير القرآن الكريم)، (ابن القيم)، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، الناشر: دار ومكتبة الهلال - بيروت، الطبعة: الأولى (١٤١٠هـ)، (٥٨٥- ٥٩٤).

[٧٨] وهو: عبد الله بن حبيب أبو عبد الرحمن السلمي له صحبة. ينظر: (أسد الغابة)، (٤١٦/٦).

[٧٩] أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: الدعوات، برقم (٣٥٧٠)، (١٢٧) ، وأبو داود، كتاب: الادب، باب: ما يقول اذا اصبح، برقم (٥٠٨٢)، (٢٤٩) وإسناده حسن، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

[٨٠] أخرجه البخاري، في (الأدب المفرد)، برقم(٦٦٠)، (٣٤٦/١). وقال الالباني: حسن صحيح. ينظر: (الأدب المفرد)، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى:٢٥٦هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية - بيروت، الطبعة: الثالثة، (١٤٠٩ - ١٩٨٩)، (٢٣٠/١).

[٨١] سورة الانبياء آية : ٢ .

[٨٢] ينظر: (في ظلال القرآن)، المؤلف: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (٢٣٦٧/٤).

[٨٣] وهو: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السرى بن سهل الزجاج النحوي؛ كان من أهل العلم بالأدب والدين المتين، وصنف كتاباً في معاني القرآن وله كتاب الأمالي وغير ذلك. ينظر: (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان)، المؤلف: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر – بيروت (٤٩/١).

[٨٤] وهو: عكرمة أبو عبد الله القرشي مولاهم ، العلامة، الحافظ، المفسر ، المدني، البربري الأصل. ينظر: (سير أعلام النبلاء)، (١٢/٥).

[٨٥] وهو: ابن هشام، الإمام، الحافظ، المقرئ، المفسر، الشهيد، أبو محمد –ويقال: أبو عبد الله الأسدي، الوالبي مولاهم الكوفي، أحد الأعلام. ينظر: (سير أعلام النبلاء)، (١٨٧/٥).

[٨٦] وهو: إبراهيم بن أبي عبلة واسم أبي عبلة شمر بن يقظان بن عامر بن عبد الله بن المرتحل العقيلي الشامي. ينظر: (الثقات)، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، طبع بإعانة: وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، تحت مراقبة: الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية، الناشر: دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، الطبعة: الأولى، (١٣٩٣هـ = ١٩٧٣م)، (١١/٤).

[٨٧] ينظر: (زاد المسير في علم التفسير)، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الثالثة، (١٤٠٤)، (٣٣٩/٥).

[٨٨] (في ظلال القرآن)، (٢٣٦٧/٤).

[٨٩] (لطائف الإشارات = تفسير القشيري)، المؤلف: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ)، المحقق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، الطبعة: الثالثة، (٤٩١/٢).

[٩٠] ينظر: (في ظلال القرآن)، (٢٣٦٧/٤).

[٩١] سورة مريم آية : ٥٨.

[٩٢] ينظر: (في ظلال القرآن)، (٢٣١٤/٤).

[٩٣] وهو: مطرف بن عبد الله بن الشخير بصرى تابعي ثقة من خيار التابعين رجل صالح وكان أبوه من أصحاب النبي ﷺ. ينظر: (معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم)، المؤلف: أبو الحسن أحمد بن عبد الله العجلى الكوفي (ت:٢٦١هـ)، المحقق: عبد العليم البستوي، مكتبة الدار – المدينة المنورة –، الطبعة: الأولى، (١٤٠٥ – ١٩٨٥)، (٢٨٢/٢).

[٩٤] أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب: الطهارة ، برقم (٩٧١)، (٣٩٦/١). وقال: هذا (حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه).

[٩٥] أخرجه ابن ماجه في سننه ، كتاب: الزهد باب: الحزن والبكاء ، برقم (٤١٩٤)، (١٤٠٣/٢). وقال الألباني : صحيح.

[٩٦] سورة الانفال آية : ٢ .

[٩٧] ينظر: (في ظلال القرآن)، (١٤٧٥/٣).

[٩٨] سورة الرعد آية : ٢٨.

[٩٩] سورة السجدة الآيتان :١٥–١٦ .

[١٠٠] ينظر: (تفسير القرآن العظيم)، (٣٦٣/٦).

[١٠١] سورة الزمر آية :٢٣ .

[١٠٢] (تفسير القرآن)، المؤلف: أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ) ، تحقيق: د. مصطفى مسلم ، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة الأولى، (١٤١٠)، (١٧٢/٣).

[١٠٣] سورة المؤمنون آية : ٦٦ .

[١٠٤] أخرجه البخاري في صحيحة، كتاب : العلم باب: من رفع صوته بالعلم، برقم (٦٠)، (٢٢/١). ومسلم في صحيحة، كتاب: الطهارة، باب: باب وجوب غسل الرجلين بكمالهما، برقم، (٢٤٠)، (٢١٣/١).

[١٠٥] سورة الانفال جزء من آية: ٤٨.

[١٠٦] سورة الانعام جزء من آية: ٧١.

[١٠٧] ينظر: (معجم اللغة العربية المعاصرة)، (١٥٢٥/٢).

[١٠٨] ينظر: (المعجم الوسيط) ، المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة, الناشر: دار الدعوة(٦١٣/٢).

[١٠٩] سورة الزخرف آية : ٢٨.

[١١٠] ينظر: (معجم اللغة العربية المعاصرة) ، (١٥٢٥/٢).

[١١١] ينظر: المفردات في غريب القرآن (٣٤٠/١) و(معجم مقاييس اللغة)، (٧٧/٤).

[١١٢] ينظر: (تاج العروس من جواهر القاموس)، (١٩٠/١٨).

[١١٣] (معجم اللغة العربية المعاصرة) ، (٢٢٨٢/٣).

[١١٤] (تفسير مقاتل بن سليمان)، المؤلف: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (المتوفى: ١٥٠هـ)، المحقق: عبد الله محمود شحاته، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، الطبعة: الأولى (١٤٢٣هـ)، (١٦١/٣).

[١١٥] (تفسير يحيى بن سلام)، المؤلف: يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي القيرواني (المتوفى: ٢٠٠هـ)، تقديم وتحقيق: الدكتورة هند شلبي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، (١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م)، (٤٠٩/١).

[١١٦] سورة الاعراف جزء من آية: ١٤٦.

[١١٧] ينظر: (مختصر تفسير ابن كثير)، (٥٠/٢).

[١١٨] سورة البقرة آية: ٣٤.وينظر: (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني)، المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية – (٣٧٠/٧).

[١١٩] سورة الاعراف جزء من آية: ١٤٦.

[١٢٠] ينظر: (مفاتيح الغيب = التفسير الكبير) ، (٣٦٦/١٥).

[١٢١] سورة الأحقاف آية : ٢٠.

[١٢٢] ينظر: (الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه)، المؤلف: أبو محمد مكي القيرواني (المتوفى: ٤٣٧هـ)، المحقق: جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، (٦٨٥٢/١١).

[١٢٣] ينظر: (تفسير الماوردي = النكت والعيون)، (٢٨١/٥).

[١٢٤] (تفسير القرآن)، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، سنة الوفاة (٤٨٩هـ)، تحقيق ياسر بن إبراهيم و غنيم بن عباس بن غنيم، الناشر دار الوطن – الرياض، سنة النشر (١٤١٨هـ- ١٩٩٧م)، (١٥٧/٥).

[١٢٥] (الجامع لأحكام القرآن)، (٢٠٠/١٦).

[١٢٦] (فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير)، محمد بن علي بن الفكر- بيروت، (٢١/٥).

[١٢٧] سورة الحج آية : ٧٢ .

[١٢٨] ينظر: (معجم مفردات ألفاظ القرآن) ، الراغب الأصفهاني ،التحقيق: نديم مرعشلي، دار الفكر، بيروت ، (٥٢٦ – ٥٢٧) .

[١٢٩] سورة النمل آية: ٤١.

[١٣٠] ينظر: (معجم الألفاظ والأعلام القرآنية) ، محمد إسماعيل إبراهيم، دار الفكر العربي القاهرة (١٤١٨هـ – ١٩٩٨م)، (٥٤١).

[١٣١] ينظر: (معجم مفردات ألفاظ القرآن) ، الراغب الأصفهاني ، (٥٢٦ – ٥٢٧)

[١٣٢] سورة الملك آية: ١٨.

[١٣٣] ينظر: (لسان العرب)، (٤٥٤٠/٦).

[١٣٤] سورة هود آية: ٥.

[١٣٥] سورة الاعلى الآيات : ٩- ١٢.

[١٣٦] سورة الحج آية : ٧٢.

[١٣٧] سورة النجم آية : ٢٩.

[١٣٨] سورة الكهف آية : ٢٨.

[١٣٩] سورة الأنعام آية : ٢٥.

[١٤٠] ينظر: (المسؤولية الاجتماعية في الإسلام) ، د. سعد المرصفي ، مكتبة المعلا، الكويت الطبعة الاولى (١٦٧) .

[١٤١] ينظر: (الإعلام في القرآن الكريم) ، د. عبدالقادر حاتم، المحقق: فادي برس، لندن، (١٤١٥هـ – ١٩٨٥م)، (٢١١) .

[١٤٢] ينظر: (معجم الألفاظ والأعلام القرآنية) ،(٢١٤). و(معجم مفردات ألفاظ القرآن)، (٢٣٨)، و(لسان العرب)، (٤٥٤٠/٦).

[١٤٣] ينظر: تفسير القرآن العظيم (٤٥٣/٥).

[١٤٤] ينظر: في ظلال القرآن (٢٤٤٣/٤).

[١٤٥] سورة المنافقون آية : ٥ .

[١٤٦] سورة المنافقون آية : ٥ .

[١٤٧] وهو: عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين، سيد الخزرج، وكانت قبيلة الخزرج قد اجتمعت على أن يتوجوه ملكًا عليهم قبل بعثة الرسول ﷺ، فلما بعث النبي ﷺ، وانتشرت أخبار الدين الجديد إلى يثرب، سارع الأنصار إلى الإسلام، وبذلك ضاعت الفرصة من يد ابن سلول، وظل حاقدًا على الرسول ﷺوعلى الإسلام والمسلمين، وأصبحت داره منذ تلك اللحظة مقرًا للمنافقين واليهود والمشركين. ينظر: (من مشاهير الصحابةﷺ)، جمع وإعداد، الباحث في القرآن والسنَّة، علي بن نايف الشحود، المكتبة الشاملة (٢٧٠/١).

[١٤٨] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير: سورة المنافقين، باب: قوله ﴿ سَواءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفاسِقِينَ ﴾ (١٨٦٠/٤).

[١٤٩] ينظر: (معجم اللغة العربية المعاصرة)، (٢٠٥٢/٣).

[١٥٠] سورة المنافقون آية : ٦ .

[١٥١] ينظر: (تفسير القرآن)، السمعاني (٣٣٢/٢).

[١٥٢] الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ا ،(٥٤١/٤).

[١٥٣] (في ظلال القرآن) (٣٥٧٩/٦).

[١٥٤] ينظر: (التفسير القرآني للقرآن) ، المؤلف: عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ)، (٩٦٢/١٤).

[١٥٥] سورة المطففين الآيات : ٢٩– ٣٣ .

[١٥٦] سورة المؤمنون الآيات : ١٠٩– ١١١ .

[١٥٧] سورة المطففين آية: ٣٣.

[١٥٨] سورة المؤمنون الآيات: ١٠٨ – ١١١.

[١٥٩] سورة المطففين الآية: ٣٤ .

[١٦٠] سورة المطففين الآية: ٢٣.

[١٦١] سورة المطففين الآية: ٣٦ .

[١٦٢] ينظر: (تفسير القرآن العظيم)، لابن كثير (٣٥٤/٨).

[١٦٣] (الجامع لأحكام القرآن)، (٢٦٧/١٩).

[١٦٤] ينظر: (كتاب السبعة في القراءات)، المؤلف: أحمد بن موسى بن العباس التميمي، (١٤٠٠هـ)، (٤٤٨/١).

[١٦٥] ينظر: (معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي)، المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ)، المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – (٤٣١/٥).